انتهينا من معرفة وجوه التحسين اللفظي، فإلى معرفة وجوه التحسين المعنوي:

.....وَهْوَ كالتَّسْهِيمِ * وَالجَمعِ وَالتَّفْرِيقِ وَالتَّقْسِيمِ
وَالْقَوْلِ بِالـمُوجَبِ وَالتَّجْرِيدِ * وَالْجِدِّ وَالطِّبَاقِ وَالتَّأْكِيدِ
وَالْعَكْسِ وَالرُّجُوعِ وَالإِيهَامِ * وَاللَّفِّ وَالنَشْرِ وَالِاسْتِخْدَامِ
وَالسَّوْقِ وَالتَّوْجِيهِ وَالتَّوْفِيقِ * وَالبَحْثِ وَالتَّعْلِيلِ وَالتَّعْلِيقِ

ذكر الناظم نحوًا من عشرين نوعًا، فدُونكها:

١- التسهيم، ويُسمَّى الإرصاد. وهو: أن يذكر قبل الفاصلة (من رأس آية، أو فقرة، أو قافيةٍ عُرِف رَوِيُّها) ما يدل عليها. نحو قوله تعالى: (وما كان الله ليظلمهم ... يظلمون)،(لا يستأخرون ساعة، ولا يستقدمون)، ونحو قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئًا فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع

٢- الجمع والتفريق والتقسيم، هذه الألقاب ثلاثة، يتحصَّل منها ستة ألقاب. هي:

١- الجمع ٢- التفريق ٣- التقسيم ٤- جمع مع التفريق والتقسيم ٥- الجمع مع التفريق ٦- الجمع مع التقسيم.

أما الجمع؛ فهو: أن يُجمع بين متعدد في حكم واحد. كقول الله تعالى: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا). وكقول الشاعر:

عَلِمْتَ يا مُجاشِعُ بنَ مَسعدةْ * أن الشبابَ والفراغَ والجِدَةْ * مفسدةٌ للمَرءِ أيَّ مفسدةْ

وأما التفريق؛ فهو: إيقاع تباين بين أمرين، من نوع واحد، بمعنًى زائد، مدحًا، أو ذمًّا، أو لأي غرض آخر. نحو قول الله تعالى: (وما يستوي البحران هذا عذب فرات...).

وأما التقسيم؛ فهو: ذكر متعدد، ثم إضافة ما لكلٍّ إليه على التعيين. نحو: كذبت ثمود وعاد بالقارعة، فأما ثمود ...وأما عاد...، ونحو: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فأما.... وأما....

وأما الجمع مع التفريق والتقسيم؛ فنحو: مثاله: يوم يأتِ لا تكلَّمُ نفس إلا بإذنه، فمنهم شقي وسعيد، فأما الذين...

جمع في قوله: لا تكلم نفس، لأنها نكرة في سياق النفي، أي كل نفس. ثم فرق بأنَّ بعضَهم شقيٌّ، والبعضُ سعيدٌ، ثم قسَّم، بأن أضاف لكل فريق ما لهم من عذاب أو نعيم.

ونحو: الاسم(جمع) **إما معربٌ، وإما مبنيٌّ**(تفريق)**. فالمعرب كذا، والمبنيُّ فكذا**(تقسيم)**.**

وأما الجمع مع التفريق؛ فنحو: أن يَدخُلَ شيئانِ في معنًى، ثم يُفرَّق بين جهتي الإدخال، نحو قول الله عز وجل حكاية عن إبليس: (خلقتني من نار، وخلقته من طين). دخل في أن الله خَلَقَهما، وافترقا في مادة خَلْقِهما. ونحو:

فوجهُكَ كالنارِ في ضوئِها * وقلبِيَ كالنارِ في حرِّها

وأخيرًا؛ الجمع مع التقسيم:

وهو أن يجمع بين شيئين أو أكثر، تحت حكم واحد، ثم يقسم ما جُمِع، نحو: الله يتوفى الأنفس حين موتها، جمع الأنفس الميتة، ثم قسَّمها(فيمسك التي..... ويرسل الأخرى).

أو العكس يقسم ثم يجمع، نحو قول حسان:

قومٌ إذا حاربُوا ضَرُّوا عدوَّهمُ * أو حاولوا النفعَ في أشياعِهم نَفعُوا

سجيةٌ تلك فيهم غيرُ محدَثةٍ * إنَّ الخلائقَ فاعلم شرُّها البِدَعُ

قسمٌ في الحربِ يضرُّون، وقسمٌ في السِّلمِ يَنفعُون، ثم جَمعَهما في سجيةٍ واحدةٍ فيهم.

٣- القول بالموجَب، وسمّـاه صلاحُ الدين الصفدي: (الأسلوبَ الحكيم)، ويمكن تسميته أيضًا بالجواب الذكي. ومعنى القول بالموجَب، أي أجاري المتكلم فيما أَوجَبَه كلامُه(أي أفاده)، ثم أقول بذلك الموجَب، ولكن بمعنًى أنا أُريدُه، ولفظ المتكلم يَحتمِلُه. مثاله: (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين). مثال آخر: قيل لابن عمرK: إن المختار بنَ أبي عُبيد الثقفي؛ يزعم أنه يُوحَى إليه. قال: صدق؛(وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِم). مثال آخر: قال رجل من أهل الحجاز للتابعي الجليل عبد الله بن شُبرمُة فقيهِ العراق وقاضي الكوفة: مِن عندِنا خرج العلم، قال نعم، ثم لم يعد إليكم.

٤- التجريد. وهو: أن يَنتزع المتكلِّمُ مِن أمرٍ ذي صفة؛ أمرًا آخر؛ مثلُه في تلك الصفة، مبالغة في كمال المنتزع منه؛ (مدحًا أو ذمًّا). حتى كأن المنتزَعَ جزءٌ مِن المنتزَعِ منه. وهو أقسام، منها:

ما يكون تارة بواسطة (من) التجريدية، نحو: لي من زيد؛ صديق حميم، ونحو:

تَرى منهمُ الأُسْدَ الغِضابَ إذا سَطَوا * وتَنظُرُ منهمْ في اللقاءِ بُدُورا

وتارة بـ(ـالباء) التجريدية، نحو: لئن سألت فلاناً؛ لتسألن به البحرَ.

وتارة بـ(ـفي)، نحو: (لهم فيها دار الخلد)، انتزع من جهنم التي هي دار الخلد، دار خلد أخرى مبالغة في خلودهم فيها.

وتارة بلا واسطة، نحو: (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر)، انتزع من الكفار؛ أئمة كفر، مبالغة في وصفهم بالخيانة ونقض العهود.

٥- **إرادة الجِدِّ، بكلام هزل،** (يدخل فيه قصد الأذية، وهو ما يطلق عليه العامة: مزح برزح).

مثاله:

إذا ما تميميٌّ أتاك مفاخِرًا * فقل عَدِّ عن ذا كيفَ أكلُك للضَّبِّ

وكقول الآخر:

فيالَه مِن عَملٍ صالحٍ * يَرفعُه اللهُ إلى أسفَلِ

٦- **الطباق، ويُسمَّى أيضًا: المطابقة، والتضاد، والتكافؤ، وهو: الجمع بين مَعنَيينِ مُتقابلَينِ. مثال ذلك: (وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود)، (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله)، (وأنه هو أضحك وأبكى)، (أومن كان ميتًا فأحييناه)، (تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء)، (أشداءُ على الكفار رحماء بينهم).**

٧- **التأكيد، وهو نوعان. الأول: تأكيدُ المدح بما يُشبِهُ الذمَّ.** وهو ضربان أحدهما: أن يُستثنَى من صفة ذمٍّ منفيةٍ صفةَ مدحٍ، على تقدير دخولها في الذمِّ. والضرب الثاني: أن يُستثنَى مِن صفةِ مدحٍ؛ صفةُ مدحٍ أُخرَى. مثال الضرب الأول:

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفَهم * بهن فلولٌ مِن قِراع الكتائب

لا عيبَ فيهمْ سِوى أنَّ النزيلَ بهم * يَسْلُو عن الأهْلِ والأوطانِ والحشَمِ

ونظيره في التنزيل الحكيم: (لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا إلا قيلًا سلامًا).

ومثال الضرب الثاني:

فتًى كَمُلتْ أوصافُه غيرَ أنه * جوادٌ فما يُبقِي مِن المال باقيًا

والنوع الثاني؛ عكس الأول: تأكيدُ الذمِّ بما يُشبِهُ المدح. وهو ضربان، الأول: أن يُستثنَى من صفة مدح منفية؛ صفة ذم على تقدير دخولها فيها. والضرب الثاني: أن يُستثنَى من صفة ذم؛ صفة ذم أخرى. مثال الضرب الأول: **فلان لا خير فيه إلا أنه يتصدق بما يسرق. ونظيره في محكم**

التنزيل: (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى). ومثال الضرب الثاني: فلان غبيٌّ إلا أنه أهوج.

٨- العكس، وهو تقديمُ جزء في الكلام، ثم تأخيرُه. نحو عادات السادات، وسادات العادات، وكقول المتنبي:

إذا أمطَرَتْ مِنْهم ومِنْك سَحابةٌ * فوابلُهم طَلٌّ وطَلُّكَ وابلُ

٩- الرجوع، وهو العَود على الكلام السابق بالنقض لنكتة(وإلا عُدَّ كَذِبًا)، نحو قول سيد فصحاء العرب ﷺ حين سَمِع صوتَ إنسانَين يُعَذَّبان فِي قبورِهما: (يُعَذَّبان، وما يُعَذَّبان في كَبيرٍ). ثم قال: (بَلى، كَانَ أَحدُهما لا يَستتِرُ مِن بَولِهِ ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بالنَّميمةِ). وكقولِ أمِّ المؤمنين عائشةَ ﷺ (صام شعبانَ كلَّه، صامَ شعبانَ إلا قَلِيلًا).

وكقول زهيـرِ بنِ أبي سُلمَى:

قف بالديار التي لم يَعْفُها القِدَمُ * بلى وغَيَّرها الأرواحُ والدِّيم

أي الرياح والأمطار.

١٠- الإيهام، ويُسمَّى التوريةَ، والتخييلَ، وهو: أن يَذكُر المتكلمُ لفظًا مفردًا له معنيانِ؛ قريبٌ ظاهرٌ(أي عند المستمع)، غيرُ مرادٍ(أي عند المتكلم)، وبَعيدٌ خفيٌّ(على المستمع)، هو المراد(أي عند المتكلم)، نحو قول يوسف ٧ فيما حكى الله عنه: (قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده)، وكقول أبي جدِّه إبراهيم ٧ لذلك الملك الطاغية عن زوجته المرأة الصالحة سارة: هذه أختي. وليس في كلام الله تعالى تورية ولا إيهام، فإنه كتاب نور وهداية وإرشاد، والقول بالإيهام في كلام الله؛ يفتح باب

التقوُّلِ على الله بغير علم، والتأويلِ الباطلِ في الأسماء والصفات وغيرِها- يفتح الباب على مصراعيه لجميع فرق الغواية والضلال.

ومن سخيف كلامِ بعضِ المعطلة، ما قالوه في معنى استواء الله على العرش؛ بأنه توريةٌ؛ معناه القريبُ غيرُ المرادِ؛ الصعودُ والعلوُّ، ومعناه البعيدُ؛ وهو مرادُ الله تعالى - كذبوا – الاستيلاءُ.

١١- اللف والنشر، أو الطيُّ والنشر؛ وهو: أن يُذكَر متعدِّد على التفصيل، أو الإجمال، ثم يذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدِّد مِن غيرِ تَعيينٍ؛ ثقةً بتمييز السامع. وهو ثلاثة أنواع:

الأول: اللف والنشر المرتب؛ وهو: أن يكون النشر فيه على ترتيب اللفِّ، نحو: (ومن رحمته جَعلَ لكم الليل والنهارَ لتسكنوا فيه ولتبتغوا مِن فضله).

الثاني: اللف والنشر المعكوس؛ وهو: أن يكون النشرُ معكوساً. نحو: (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب). وعلم عدد السنين والحساب إنما يكون بالقمر، ولا يكون إلا ليلاً.

الثالث: اللف والنشر الملفق، أو المشوش؛ وهو: أن يكون النشر فيه؛ غير مرتب، نحو:

ولحظُهُ ومُحيّاهُ وقَماتُه * بَدرُ الدُّجا وقَضيبُ البانِ والراحِ

واللحظ: النظر بمؤخر العين، جعل لحظ محبوبه كالراح، وهي الخمر. نعم، وكذلك حسن الصوت كالخمر، يقول ابن تيمية: (أصوات الملاهي تحرّك الناس وتثيرهم.. فخمر الأرواح: الصوت المطرب وسماعه، وهو يسكر صاحبَه).

وهذا فيما إذا زاد اللفُّ على اثنين.

والطيُّ، أو اللفُّ والنشر على الإجمال؛ أن يذكر متعدد على سبيل الإجمال، نحو: (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى). أي: وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كانوا نصارى.

١٢- الاستخدام، وهو: أن يؤتَى بلفظٍ له مَعنيان، فيراد به أحد المعنيين، ثم يراد المعنى الآخرُ بضمير يعود إلى اللفظ نفسه، نحو:(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)، أريد بالشهر الهلال (مجاز مرسل علاقته اللازمية)، وبالضمير زمان الصوم.

مثال آخر، لمعاويةَ بنِ مالك(جاهلي):

إذا نزل السماءُ بأرض قوم * رَعَيناه وإن كانوا غِضابا

أراد بالسماء المطرَ، وبالضمير في رعيناه العُشْبَ، (وتسمية العشب سماءً؛ مجاز مرسل علاقته السببية، رعينا السماء. وإسناد النزول إلى السماء؛ مجاز عقلي علاقته المكانية).

وقد يعود على اللفظ ضميران لهما معنيان آخران. مثاله؛ قول البحتري:

فسقى الغضا والساكنِيْهِ وإنْ همُ * شبُّوهُ بينَ جوانحِيْ وضُلُوعِيْ

فالغضا؛ شجر، وضمير ساكنيه؛ يعود إلى مكانه، وضمير شبُّوه؛ عائد إلى النار. (وكلاهما مجاز مرسل، أي: سكنت الغضا، وعلاقته الحالِّية، وشببت الغضا، وعلاقته السببية).

١٣- السَّوق، أي: سَوقُ المعلوم سَوقَ غيرِ المعلوم، أو تجاهل العارف، وهو السؤال عما يَعلمُه، تجاهُلًا لغرض المدح أو الذم، أو غيره، نحو:

وما أدريْ ولَستُ إِخالُ أدرِيْ * أقومٌ آلُ حِصْنٍ أمْ نِساءُ

١٤- التوجيه، وهو: الإيهام؛ بأن يؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادين على السواء، كهجاء، ومديحٍ؛ ليَبلُغ القائلُ غرضَه بما لا يُمسَكُ عليه.

ومن طريف الأخبار؛ أن خياطًا ماهرًا؛ اسمه عمرٌو؛ وكان يتمتع بعين واحدة؛ قال لرجل: سأَخِيط لك شيئًا لا تدري أقميص هو أم قَباءٌ، فقال له الرجل: إن فعلتَ،

لأقولنَّ فيك شعرًا؛ لا تدري أمديحٌ هو أم هِجاء، ففعل الخياطُ، و خاط شيئًا لم يَدرِ الرجلُ أقميصٌ هو أم قَباءٌ، فقال له:

خاطَ لِيْ عَمروٌ قَباءً * ليتَ عَينَيهِ سَواءُ

١٥- التوفيق، وهو التناسب أيضًا، وهو أن تجمع أمرًا وما يناسبه مناسبة لا على وجه التضاد، نحو قول البحتري يصف إبِلًا قد هَزِلَتْ:

كالقِسِيّ المُعَطَّفاتِ بَلِ الأسْـ * ـهُمِ مَبْرِيّةً بَلِ الأوْتَارِ

١٦- البحث، أي الدليل المنطقي أو العقلي، وهو: إقامة الحجة بعد إيراد مقدمات نسلِّم بها جَدَلاً، ومجاراة، ولكنها ستستلزم المطلوبَ. فمثلاً، قوله تعالى: (لو كان فيهما آلة إلا الله لفسدتا)، سلمنا لكم بوجود آلهتين؛ أليس لازمُهما الاختلاف؟ أليس ذلك الاختلاف فسادًا؟ فإذا كان اللازم فسادًا، فالملزوم وهو وجود آلهة أخرى سيكون فسادًا أيضًا. وهذه قاعدة عقلية مسلمة: متى بطل أو فسد اللازم بطل أو فسد الملزوم، ولا عكس.

فائدة: الملزوم: كون الشيء يجب عندَ وجودِه وجودُ شيءٍ آخرَ كالشمس. واللازم: كون الشيء يجب وجودُه عند وجود شيء آخر كالضوء. وكالمطر مع البلل، وقطع الرقبة مع الموت.

ومثلًا: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه)؛ يقال لمنكر البعث: أليس الله الذي بدأ الخلق؟ سيقول بلى، فيقال له: أليس البدءُ عادةً أصعبَ من الإعادة؟ إذًا البعث أهون من البدء. فأفعل التفضيل احتجنا إليه فقط في البحث والمناظرة مع منكر البعث، لقطع بحثه وإفساد رأيه، وإلا فكلا الأميرين على الله هيِّنٌ.

ويشبه الأسلوبَ العقليَّ؛ أسلوبُ المجاراة، ومثاله في التنزيل؛ قصة إبراهيم ٧ مع الذي حاجَّه في ربه(قال أنا أحيي وأميت، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب). فسكوت إبراهيم ليس إقرارًا للمدعي، ولكن لقطع تحديه بطريقة تَفجَأُه وتُبهِتُه، وكذا قول الرسل لأقوامهم حين قالوا: إن أنتم إلا بشر مثلنا... قالوا لهم: إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده.

١٧- التعليل، أو حسن التعليل، وهو: إنكار العلة الحقيقية والإتيان بعلة أدبية طريفة، نحو قول المتنبي:

ما به قتلُ أعادِيهِ ولكِنْ * يَتقِي إخلافَ ما تَرجُو الذِّئابُ

وقول الآخر:

ما قصَّر الغيثُ عَن مصرٍ وتُربتِها * طَبعًا ولكِنْ تعدَّاكم مِن الخجَلِ

وقول الآخر:

أما ذُكاءُ فلم تَصفرَّ إذ جَنَحَتْ * إلا لفُرقةِ ذاك المنظرِ الحسَنِ

١٨- التعليق، ويسمَّى التفريعَ، وهو: أن يُثبَتَ حكمٌ لمتعلَّقِ أمرٍ؛ بعد إثباتِه لمتعلَّقٍ له آخرَ، على وجهٍ يُشعر بالتفريع والتعقيب، كقول الشاعر:

أحلامكم لسَقامِ الجهلِ شافيةٌ * كما دماؤكمُ تَشفِيْ مِن الكَلَب

أثبت حكماً؛ وهو أنهم يَشفُون المرضى من داء متعلِّق بالدم، بعد أن أثبت أنهم يَشفُون المرضى مِن داءٍ متعلَّق بالعقل.

ومما يحسن ذكره من أنواع البديع المعنوي؛ مما تركه الناظم؛ الاستطرادُ، والمشاكلة.

أما الاستطراد فهو: أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخر لمناسبة بينهما، ثم يرجع إلى إتمام غرضه الأول. ومن أمثلته في هذه المذكرة؛ استطرادنا في حد الخبر الصدق، والكذب، وفي أنواع دلالة اللفظ الثلاثة (تطابق – تضمن – لزوم).

وأما المشاكلة فهي: أن يُذكرَ الشيءُ بلفظ غيرِه؛ لوقوعِه في صحبتِه، ومنه قول عمرَ η (نعمت البدعةُ هي)، فكأن قائلًا قال: إنَّ اجتماع الناس على التراويح بعد أن ترَكَها النبيُّ ﷺ بدعةٌ، فيقدَّرُ قولُه η: إن كانت بدعةً؛ فنِعمَت البدعةُ هي. وكذا قول الشافعي ρ:

إن كان رفضًا حبُّ آلِ محمد * فليَشهدِ الثقلانِ أَني رافِضِيْ

ولا تدخل المشاكلة على شيءٍ من صفات الله تعالى الذاتية، ولا الفعلية، وإلا وقعنا في التعطيل، ومن ذلك: (مستهزئون. الله يستهزئ بهم)، (نسوا الله فنسيهم)، (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نسفك)، فنثبت الصفة كما أثبتها الله لنفسه، ونفوِّض الكيف.

ومما يحسُنُ إلحاقُه بالبديع المعنوي التضمين، وهو: إشرابُ فعل معنَى فعلٍ آخر فيتضمَّنُ معناه، ويأخذُ حكمَه؛ لزومًا، وتعديةً. ويأتي التضمين في الأسماء، والحروف أيضًا. ومحلُّ ذكرِهما في المستوى الثاني من علم البلاغة. وإليك أمثلة تضمين الفعل:

١- (عينًا يشرب بها المقرّبون)، ضُمِّن الفعلُ معنى (يَرتوي) فتعدَّى بحرفهِ، ويصبح المعنى: عينًا يرتوي بالشرب منها المقربون.

٢- (والله يعلم المفسد من المصلح) ضُمِّن الفعل معنى (يَمِيزُ)، فاستعمل حرف المايزة (مِن)، ويصبح المعنى: والله يميز بعلمِه المفسدَ من المصلح.

٣-(ولا تعزِموا عقدة النكاح) ضُمِّن الفعل معنى (تَنْوُوا)، فتعدَّى وهو لازم، ويصبح المعنى: ولا تنووا -عازمين- عُقدةَ النكاح.

٤-وفي الحديث الصحيح: (ثلاثٌ لا يَغِلُّ عليهن قلبُ امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحةُ ولاة الأمر، ولزومُ جماعة المسلمين)، الفعل لازم(غَلَّ يَغِلُّ غِلًّا؛ كحقد وزنًا ومعنًى، وغَليلًا)، ولكن لما ضُمِّن معنى ينعقِدُ؛ عُدِّي بحرفهِ، فصار المعنى: لا ينعقد عليهنَّ قلبُ امرئ مسلم مشوبًا بِغِلٍّ. أي لا يجتمع غِلٌّ مع هذه الثلاثة في قلب المسلم.

٥-(سمع الله لمن حمده) ضُمِّن الفعل معنى استجاب، فلَزِمَ وهو متعدٍّ، ويصبح المعنى: استجاب الله لكم حين سَمِع حَمْدَكم إياه.

الخَاتِمَةُ: فِي السَّرِقات الشِّعْرِيَّةِ

وغير الشعرية. والسرقة: أن يأخذ المتكلِّم كلامَ غيرهِ، وينسِبه لنفسه، وهو أربعة أنواع: نَسْخٌ، ومَسْخٌ، وسَلْخٌ، وقَلْبٌ. قال الناظم:

السَّرِقاتُ ظَاهِرٌ فالنَّسْخُ * يُذَمُّ لاَ إِنِ اسْتُطِيعَ المَسْخُ

وَالسَّلْخُ مِثْلُهُ وَغَيْرُ ظاهِرِ * كَوَضْعِ مَعْنًى فِي مَحَلٍّ آخَرِ

أَوْ يَتَشَابَهَانِ أَوْ ذَا أَشْمَلُ * وَمِنْهُ قَلْبٌ .....

وأظهرها في السرقة النسخُ، ويُسمَّى الانتحالَ، وهو مذمومٌ – صناعةً - على كل حال، وصفتُه؛ أن يَأخذ النصَّ كاملًا بلفظِه ومعناه، أو يُبْدِلَ ألفاظه كلَّها أو بعضَها بما يُرادِفُها، نحو:

لا عيبَ فيهمْ سِوى أنَّ النزيلَ بهم * يَسْلُو عن الأهْلِ والأوطانِ والحشَمِ

فيقول مثلًا:

لا عيبَ فيكمْ سِوى أنَّ النزيلَ بكم * يَسْلُو عن الأهْلِ والأوطانِ والحشَمِ

وأما المسخ؛ ويُسمَّى الإغارةَ؛ فهو أخذ بعض اللفظ أو تغيير بعض النظم، وهو دون النسخ في الظهور. وحُكمُنا فيه أن نقول: إنِ امتاز الماسخ بحسن السبك؛ فلا بأس، فإن قلَّ؛ فمذموم، وإن تَساويا؛ فلا يُمدَح ولا يُذَم. وهذه الأحوال الثلاثة للمسخ؛ أشار إليها الناظم بقوله: (كَوَضْعِ مَعْنًى فِي مَحَلٍّ آخَرٍ أَوْ يَتَشَابَهَانِ أَوْ ذَا أَشْمَلُ).

وأما السلخ؛ ويُسمَّى الإلمامَ؛ فهو أخذ المعنى وحدَه كاملًا دون اللفظ، نحو:

ولم يك أكثرَ الفتيانِ مالًا * ولكنْ كان أرحبَهم ذِراعًا

جاء شاعر آخر فسلخ البيت قائلًا:

وليس بأوسعِهمْ في الغِنَى * ولكنَّ معروفَه أوسعُ

والحكم فيه كالحكم في المسخ. وانظر مزيدًا من الأمثلة في الجوهر المكنون، ص: ٣٣٤.

وأما القلب؛ فهو أن يكون معنى الثاني ضدَّ معنى الأول، بأن يكون أحدهما إيجابًا، فيُقلَب الآخر سلبًا.

..... * ..... وَاقْتِبَاسٌ يُنْقَلْ

وَمِنْهُ تَضْمِيْنٌ وَتلْمِيحٌ وَحَلّ * وَمِنْهُ عَقْدٌ وَالتَّأَنُّقْ أنْ تَسَلْ

بَرَاعَةُ اسْتِهْلاَلِ وَانْتِقَالِ * حُسْنُ الْخِتَام مُنْتَهَى المَقَالِ

ومما يتصل بالسرقات في الشعر والنثر؛ ثمانية فنون: الاقتباس، والتضمين، والتلميح، والحَلُّ، والعَقْد، وبراعة الاستهلال، والانتقالُ، وحُسنُ الختام. وهذه الثلاثة الأخيرة؛ يجمعها التأنُّق. ولنبدأ بشيء من التوضيح:

أما الاقتباس؛ فهو: أن يُضمِّن المتكلم في شعره أو نثرِهِ؛ شيئًا من القرآن أو الحديث، على وجهٍ لا يُشعِرُ أنه منهما.

مثاله من المنثور: أنا أنبئكم بتأويله، وأَمِيزُ صحيحَ القول مِن عليله.

ومن المنظوم:

يُرِيدُ الجاهلونَ ليُطفِئوهُ * ويأبَى اللهُ إلا أن يُـتِمَّهْ

وقول الآخر:

وإذا ما شِئتَ عَيشًا بينَهمْ * خالقِ الناسَ بخُلْقٍ حَسَنِ

ويراعى في الاقتباس التالي:

١- أن لا يكون في الهزْلِ من القول، وهو مستحسنٌ في الخُطَبِ والمواعظِ، وجائز في النسيب (رقيق الشعر في الوصف والمحبة ونحوها)، ونحوه.

٢- اللفظُ المقتبَس؛ تارةً؛ يبقَى على معناهُ الأصليِّ، كما تقدمَ من أمثلة، وتارةً؛ يُنقَل عن معناهُ الأصليِّ، ولا بأس في ذلك، كما في قول الشاعر:

لقد أَنزلتُ حاجاتِيْ * بوادٍ غيـرِ ذِي زَرْعِ

٣- لا بأس بالتغيير اليسير في اللفظ المقتبس للوزنِ أو غيره، أي إنه لا يخرج عن وصف الاقتباس، نحو:

قد كان ما خِفتُ أن يكونا * إنّا إلى الله راجعونا

وأما التضمين؛ فهو: أن يُضمِّن الشاعر قصيدتَه مِن شعر غيره؛ مع التنبيه، كقول الحريري:

على أنِّيْ سأُنشِد عند بيعيْ * أضاعونيْ وأيَّ فتًى أضاعوا

وأما التلميح؛ فهو: الإشارة إلى شيء مشهور؛ مِن قصةٍ، أو مثلٍ، أو موقفٍ، أو بيتِ شعرٍ، نحو:

لعمرٌو مَعَ الرمضاءِ والنارِ تَلتَظِي * أرقُّ وأَحفَى مِنك في ساعةِ الكَرْبِ

ألمحَ إلى المثلِ السائرِ:

المستجيرُ بعَمرٍو عندَ كُربته * كالمستجير مِن الرمضاءِ بالنار

وأما الحل؛ فهو: نثر المنظوم، فقول المتنبي:

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءتْ ظنونُه * وصدَّقَ ما يَعتادُه مِن تَوَهُّمِ

يُمكن نثرُه واختصاره بقول العامة: كلٌّ يَرى الناسَ بِعينِ طَبعِه.

وأما العَقْد؛ فهو: نظم المنثور، كنظم الآيات، والأحاديث النبوية، كنظم بلوغ المرام للصنعاني، لا على هيئة الاقتباس، وكذا نظمُ المتون العلمية المنثورة، كنظم الآجرومية.

وأما براعة الاستهلال؛ كما في النظم؛ فهي نوع من حسن الابتداء أو براعة المطلع. فحسن الابتداء وبراعة المطلع: سهولةٌ، ووضوحٌ في المقدمة، وأوَّلِ الكلام، وتَناسُبٌ للمقام، دون إشارة إلى المقصود. فإن دلت المقدمةُ بإشارات لطيفة على المقصود؛ فهي براعةُ الاستهلال.

وأما الانتقال؛ ويُسمَّى التخلُّصَ؛ فهو: الخروج، والانتقال، من المقدمة إلى الغرض المقصود؛ أو من غرض إلى آخرَ برابطةٍ مناسبة، لا تشعرك بالانتقال. فإن لم تكن رابطة، وكان الانتقال مباشرًا؛ فيسمَّى اقتضابًا، والاقتضاب القَطْع، فكأن المتكلم قطع الكلام، وانتقل إلى كلام آخر. وقولك للمتكلم اقتضب؛ أي: اُدخل في الموضوع مباشرة.

وأما حسنُ الختامِ؛ ويُسمَّى حُسْنَ الانتهاءِ، وبراعةَ القطع، و براعةَ المقطع؛ فهو: أن يأتيَ المتكلمُ في آخر كلامِه بما يُشعر بالتمام، مع رقَّة لفظٍ، وحُسنِ سَبك.

عليكَ سلامٌ نَشْرُه كلَّما بَدا * به يُتغالَى الطيبُ والمِسكُ يُختَمُ